http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1352) السنة السادسة -السبت (25) تشرين الاول 2008

الاراء الـــواردة فـي الـصـفـحـة تعبر عـن وجـهـات نـظـر كـتـابـهـا ، وقـد لاتـتـفـق بـالـضـرورة مـع وجـهـة نـظـر الـجـريـدة

الـــــــــــــــــــولادة

(٣-٣)

تأليف :فرانسيس وين
ترجمة:سعدي عبد اللطيف

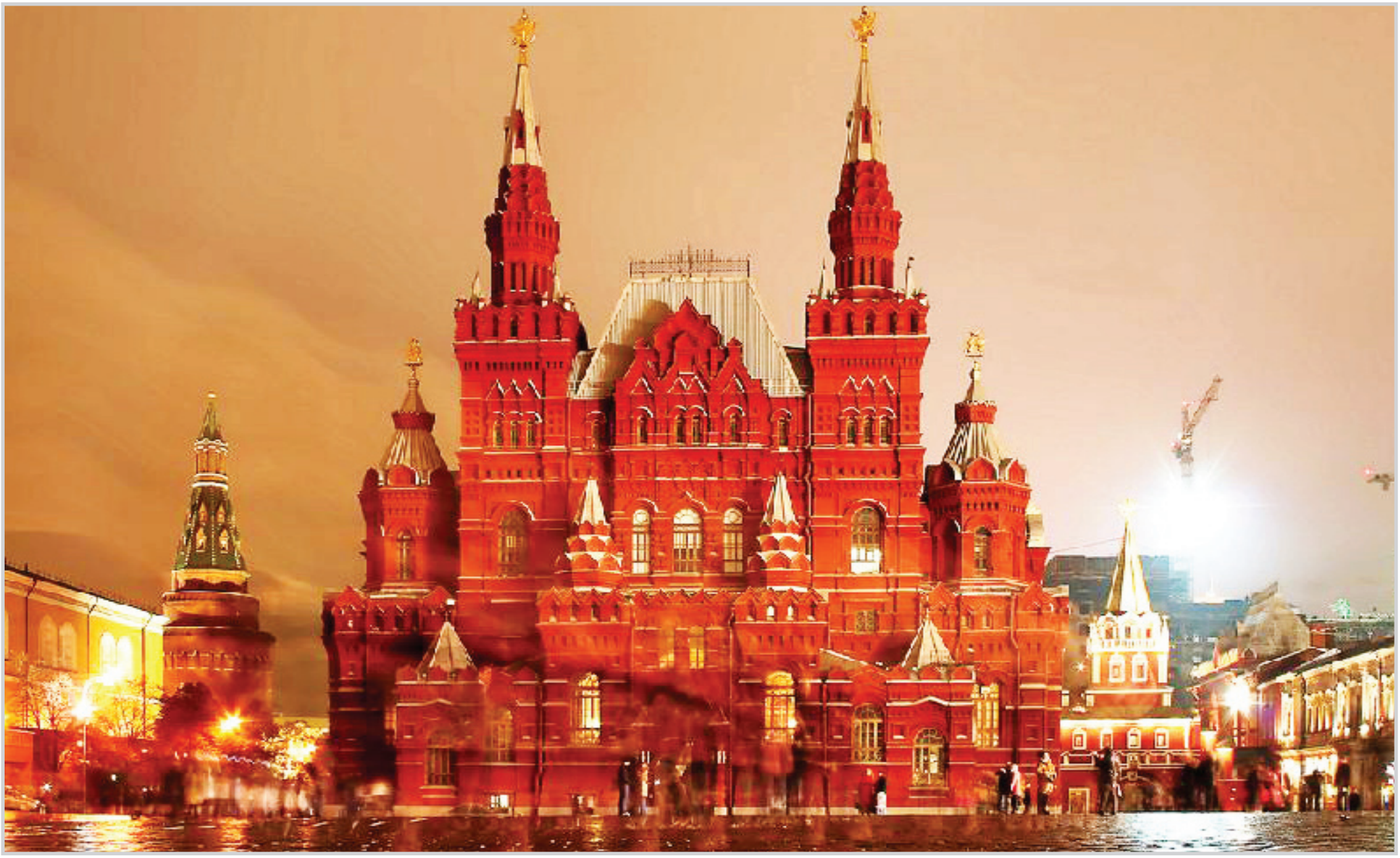

والآن عدنا الى حيث بدأنا، الى جهنم أرضية تشابه النسخة الدنيوية ل جحيم الكاتب الأيطالي العظيم دانتي (١٢٦٥ – ١٣٢١) في ملحمة « الكوميديا الآلهية «. هنا يسأل فيرجيل دانتي في النشيد رقم ٥ من فصل المطهر ما ذا يهمك ما يتهامس الناس به هنا؟ أتبعني ودع الناس يتكلمون.

ولأن مايحتاجه ماركس هو شخص مثل فيرجيل كي يقوده، ينقح السطر في مقدمته للمجلد الأول من رأس المال لكي يحذر انه لن يقدم أي تنازل لانحيازات الآخرين:الآن، كما دائما، فإن مبدأي الأساسي هو مثل مبدأ ذلك الفلورنسي العظيم:[امض في طريقك ودع الناس يتكلمون.]. فمنذ البدء، اذن، جرى تصور الكتاب(رأس المال) بمثابة نزول باتجاه المناطق السفلية، وعمل ماركس،حتى في غمرة التجريدات النظرية المعقدة،على توصيل احساس مفعم بالحيوية بالمكان والحركة:

دعونا، لذلك، ترك هذه المنطقة الكثيرة الضجيج من السوق، حيث كل مايجري ينفذ أمام الأعين المفتوحة على اتساعها، حيث يبدو كل شيء مكشوفا ومن غير مواربة. وسنتبع مالك النقود ومالك قوة العمل الى الزاوية المخفية من الإنتاج، عابرين عتبة الباب حيث كتب عليها، ممنوع الدخول لغير البزنس. هنا سنكتشف، لا كيف ينتج راس المال فحسب، بل،أيضا، كيف يتم إنتاج رأس المال، نفسه. وسنكتشف، أخيرا، سر صناعة فائض القيمة.

وسيجري، غالبا، استرجاع الأحداث الأدبية في مثل هذه الرحلة حينما يمضي ماركس في كتابة عمله. فيحنما يصف مصانع عود الثقاب الانجليزية، حيث يبلغ عدد الصبيان العاملين نصف عدد العمال (وبعضهم أطفال في سن السادسة من العمر) وظروف عملهم مروعة بحيث ان ماركس كتب قائلا: ليس غير الجزء الأكثر تعاسة من الطبقة العاملة، والأرامل اللواتي على حافة الجوع وهلم جرا هم من يدفع الأطفال الى هذه الأماكن، وإضاف:

وفي يوم عمل يتراوح بين ١٠ و١٤ أو ١٥ ساعة، عمل في الليل، وجبات طعام بلا انتظام، ووجبات تؤخذ، معظمها، الى غرف العمل نفسها حيث السموم والفسفور، فإن دانتي سيجد في هذه الصناعة أسوأ قصص الرعب تفوق في قسوتها أكثر بكثير مما يحدث في جحيمه.

وتصور آخر ان الجحيم يوفر اطارا ثانيا لصورته عن الواقع التجريبي:

من الحشد المتنافر للعمال من جميع الحرف والأعمار والجنس، والذين يتدافعون حولنا بالحاح أكثر مما تدافعت ارواح المذبوحين حول عوليس، والذين نرى، وبنظرة عجلى، آثار العمل الإضافي بادية عليهم، و من دون الأشارة الى الكتب الزرقاء تحت آباطهم، لنختر شخصين آخرين حيث يبرهن التناقض الصارخ ان الرجال، كلهم، متشابهون أمام وجه رأس المال – صانع القبعات النسائية و حداد.

هذه هي كلمات قصة تدور حول ميري آن ولكلي، شابة في العشرين من عمرها ماتتبعد عمل دون انقطاع لأكثر من ٢٦ ساعة وهي تصنع القبعات لضيوف حفلة راقصة أقامتها أميرة ويلز عام ١٨٦٣. صاحبة عمل ميري (سيدة ذات اسم لطيف هو آليز، كما أشار اليها ماركس بسخرية) أصابها الفزع لأنها اكتشفت ان الشابة ميري ماتت من دون أن تكمل جزءا من الملابس المبهرجة التي كانت ميري تطرزه. واذا لم تكن هذه الشخصيات موجودة، لربما أضطر الروائي الكبير تشارلز ديكنز على خلقها. هناك نكهة ديكنزية في الكثير من صفحات رأس المال وكان ماركس يعبر عن ايماءات واضحة، بين الفينة والفينة، الى مؤلف لطالما أحبه.هنا، مثال عن كيف يمسح فيها ماركس الأرض بالمدافعين عن البرجوازية الذين يدعون ان توجيهه النقد الى تطبيقات معينة للتكنولوجيا تفضحه كعدو للتقدم الأجتماعي الذي لايريد استخدام الماكنة على الأطلاق:

هذه، بالضبط، محاججة بل سايكس السفاح الشهير. سادتي المحلفون، لاشك ان رقبة هذا الرحالة التجاري قد ذبحت. هل يجب من أجل ازعاج مؤقت كهذا، تحريم استخدام السكين؟ فكروا فحسب! ماذا سيكون عليه أمر الزراعة والتجارة من دون وجود السكين؟ اليست السكين مفيدة في الجراحة وذات مهارة،كذلك، في علم التشريح؟ وهي، ايضا مساعدا طوعيا على مائدة العيد؟ اذا الغيتم السكين – فأنكم ستقذفون بنا الى الوراء لنرجع الى أعماق عهود البربرية.

وبل سايكس لم يلق مثل هذه الخطبة في رواية أوليفر تويست التي كتبها ديكنز: هذا مجرد تقدير استقرائي ساخر دبجه ماركس. وسيقول ماركس أحيانا أنهم عبيدي وهو يومئ الى كتبه المصفوفة على الرفوف، مضيفا:ويجب أن يتولوا خدمتي كما أريد. ومهمة قوة العمل هذه (الكتب) التي تعمل من دون أجر، ان تقوم بتوفير المواد الخام التي تمكنه، عندئذ، من تشكيلها لأغراضه الخاصة. وكتب احد صحفيي جريدة شيكاغو تريبيون الأمريكية والذي زار ماركس عام ١٨٧٨ وأجرى مقابلة معه قائلا: حديث ماركس لايجري في وتيرة واحدة فقط، بل يتنوع تنوع مجلدات الكتب على رفوف مكتبته، وبالامكان الحكم على أي انسان، عموما، من خلال الكتب التي يقرأها، وتستطيع تشكيل استنتاجك الخاص عندما اخبرك ان نظرة عجلى عفوية على رفوف مكتبة ماركس كشفت لي عن شكسبير، ديكنز، ثاكاري، موليير، راسين، مونتيني، بيكون، غوته، فولتير، توماس بين، كتب انجليزية، أمريكية وفرنسية زرقاء، مؤلفات فلسفية وسياسية باللغات الروسية، الألمانية، الأسبانية، الأيطالية، الخ، الخ. الى آخره حقا: ففي عام ١٩٧٦ كتب البروفسور أس. أس. براور مؤلفا من ٤٥٠ صفحة مكرساً كليا لإشارات ماركس الأدبية. فاثمر المجلد الأول من رأس المال مقتطفات من الأنجيل، شكسبير، غوته، ميلتون، فولتير، هوميروس، بلزاك، دانتي ، شيلر، سوفوكليس، افلاطون، ثوسيديديس (مؤرخ أثيني ٤٦٠؟ – ٤٠٠ ؟ ق.م.)، زينوفون (مؤرخ وقائد عسكري يوناني ٤٣١ – ٣٥٥؟ ق.م.)، ديفو، سرفانتس، درايدن، هاينة، فيرجيل، جوفينال (شاعر روماني ٦٠؟ – ١٣٥؟م.)، هوراس، توماس مور، صاموئيل بتلر – إضافة الى اشارات ضمنية الى حكايات الرعب تدور حول مصاصي الدماء والأشخاص الممسوخين ذئابا، كتب الفتيان الألمانية، الروايات الانجليزية الرومانطيقية ، الأغاني الشعبية، الأغاني و الأغاني المقفاة، الميلودراما والمسرحيات الهزليةالساخرة، الأساطير والأمثال.

ماهي المنزلة الأدبية ذاتها لرأس المال؟ كان ماركس يعرف ان منزلته لن تكون ثانوية لأن رأس المال لم يقم الا بمجرد عرض مقتطفات باهرة من نتاجات الآخرين الأدبية. وقام ماركس في المجلد الأول من رأس المال بالأعلان عن استهانته بأولئك الإقتصاديين الذين يتخفون وراء استعراض متبجح للمعرفة الواسعة للتاريخ والأدب، أو عبر خليط من المادة الغريبة، واحساس بعجزهم العلمي ووعيهم الخفي بأن عليهم تقديم تعاليم للآخرين فيما هم أحسوا فيه على اعتباره موضوعا غريبا حقا. وكان ماركس يعتريه الخوف انه لربما أقدم هو نفسه، باقتراف مثل هذه الإساءة وقد يوضح هذا سبب اعترافه المفعم بالألم في خاتمة الطبعة الثانية لرأس المال بانه لن يستطيع أحد أن يشعر بمواطن الضعف في رأس المال شعورا قويا أكثر مني. مع ذلك، من المدهش انه حتى القلة القليلة جدا من الناس لم يخطرعلى بالها ان تعتبر رأس المال ك كتاب أدبي. لقد حوم رأس المال على نصوص لاتحصى من أجل تحليل نظرية ماركس قيمة العمل أو من أجل قانونه عن تضاؤل نسبة الربح، لكن حفنة من النقاد، فقط، قد أولوا انتباها جديا الى طموح ماركس الأدبي المعلن – ألا وهو، وعبر رسائل عديدة الى أنجلز – سعيه وراء إنتاج عمل فني.

لربما يوجد عائق واحد يتمثل في أن بنية رأس المال المتعددة الطوابق تستعصي على أي تصنيف سهل. اذ يمكن قراءته على اعتباره رواية قوطية ضخمة حيث يستعبد ابطال الرواية ويدمرون من قبل وحش هم خلقوه (رأس المال الذي جاء الى العالم ملطخا بالدم المتخثر من أعلى الى اسفل ويرشح دما من كل مسامة في جسده)، أو ك ميلودراما من العصر الفيكتوري (وحتى الكاتب أس. اي. هامان اقترح في دراسته لعام ١٩٦٢ المعنونة البنك المعقد: داروين، ماركس، فريزروفرويد كمؤلفين واسعي الخيال عنوانا ينم عن ذكاء لهذه الدراما: الرهن العقاري لقوة العمل محبوسا)، ويمكن أيضا قراءة رأس المال ك مسرحية هزلية ساخرة سوداء، لأن ماركس (في فضحه زيف ا لمو ضو عية الشبيهة بالشبح للبضاعة والتي تفشي أسرار الأختلاف بين المظهر البطولي والحقيقة المخزية، يستخدم الأساليب الكلاسيكية ل لكوميديا، معريا درع الفارس الشهم ليكشف عن رجل صغير بدين لا يغطي عيوبه غير سرواله التحتي)، وبالمستطاع من زاوية أخرى قراءة رأس المال ك تراجيديا اغريقية. وكما كتب سي. فرانكل في مؤلفه ماركس والفكر العلمي المعاصر (و مثل اوديب فان الممثلين في مسرحية ماركس عن التأريخ الأنساني هم في قبضة الضرورة التي لاترحم والتي تكشف عن نفسها مهما فعل الرجال. ومع ذلك، فأن كل ما يربطهم بهذا القدر هو عماهم التراجيدي ذاته وافكارهم الثابتة ذاتها، مما يمنعهم من رؤية الحقائق الا بعد فوات الأوان). او لربما ان رأس المال ليس الا يوتوبيا هجائية مثل أرض هوينهنمس في رواية رحلات غوليفر التي الفها جوناثان سويفت حيث تبهج كل مشاهدها عدا الانسان الذي لايعرف الا الخسة: وفي نسخة ماركس عن المجتمع الرأسمالي، كما هو الحال مع الفردوس الزائف الفروسي ل سويفت حيث جرى خلق جنة عدن كاذبة عن طريق مسخ البشر العاديين الى منزلة الياهو (واحد من جنس البهائم له شكل الأنسان وجميع رذائله) العاجزين جنسيا والذين يسحقهم الاغتراب.

وأشبع ماركس، من أجل انصاف المنطق المعتوه للراسمالية، نصوصه بالتعابير الساخرة، تعابير فاتت، مع ذلك،على انتباه معظم الباحثين الكبار لمدة ١٤٠ سنة. اما الاستثناء الوحيد كان الناقد الأمريكي أدموند ويلسون الذي حاجج في كتابه باتجاه محطة فنلندا: دراسة في كتابة وتمثيل التاريخ (١٩٤٠) بأن قيمة تجريدات ماركس – رقصة البضائع، القيمة المهرجة ذات القطبة المتصالبة – هي أساسا عبارة عن تعبيرات ساخرة، توضع كما هي الى جانب المشاهد المثيرة للأشمئزاز الموثقة جيدا للتعاسة والقذارة التي خلقتها عمليا قوانين الراسمالية. وأعتبر ويلسون رأس المال بمثابة باروديا (محاكاة تهكمية) للإقتصاد الكلاسيكيوحالما نقرأ[ه] مرة واحدة لاغير ، فأن الأعمال التقليدية التي تدور حول الإقتصاد لن تبدو لنا أبدا انها الشيء نفسه مرة أخرى: نستطيع، دائما، ان نرى عبر مجادلاتهم وأرقامهم حقائق العلاقات الأنسانية الخام والتي تضع القناع على أغراضهم أو آثارها. واعتقد ويلسون انه لم يمتلك أحد، أبدا، مثل هذه البصيرة السايكولوجية المعصومة عن الخطأ والتي استطاعت ان تخترق القدرات اللانهائية للطبيعة الأنسانية والتي تسعى الى البقاء غير واعين أو لامبالين للآلام التي نلحقها بالآخرين عندما تسنح لنا الفرصة للاستيلاء على شيء ما من الآخرين لصالح أنفسنا.وأصبح كارل ماركس، بتعامله مع هذه الثيمة، واحدا من العباقرة العظام لفن الهجاء. وماركس، بالتأكيد، أعظم كاتب ساخرمنذ جوناثان سويفت، ويمتلك الكثير من الخصائص المشتركة معه.

يبدو هذا الثناء متسما بالغلو تماما أو لايمكن تصديقه أبدا بحيث يحتاج الى أدلة داعمة. لذلك لنتوجه الى كتاب نظريات فائض القيمة ، الذي يطلق عليه بالمجلد الرابع من رأس المال والذي نشر بعد وفاة مؤلفه ففيه يروي ماركس المحاولات المختلفة للإقتصاديين الكلاسيكيين التمييز بين العمل المنتج وغير المنتج. ووضع آدم سميث، في الخانة الثانية(غيرالمنتجة) رجال الدين، المحامين،الأطباء، رجال الأدب من جميع الأنواع، اللاعبين، المهرجين، الموسيقيين، مغني الأوبرا، راقصي الأوبرا...الخ وهؤلاء جميعايمكن اعالتهم من قبل قسم من الإنتاج السنوي من صناعة الناس الآخرين. لكن هل هذا التمييز واضح تماما، حقا، وبسيط؟ ويقترح ماركس بأن أي مهنة يمكن تصورها تستطيع ان تكون منتجة، وانطلق في اثبات ذلك بمثال مضحك بشكل واضح:

ينتج الفيلسوف الأفكار، الشاعر القصائد، القس المواعظ، البروفسور الكتب وهكذا. المجرم ينتج الجرائم. واذا نظرنا بعناية أكبر قليلا العلاقة بين الفرع الأخير من الإنتاج والمجتمع ككل، سنقوم بتخليص أنفسنا من احكام مسبقة عديدة. فالمجرم لاينتج جرائم فحسب بل قانون جرائم أيضا، وكذلك أيضا البروفسور الذي يلقي المحاضرات عن قانون الجرائم وإضافة الى ذلك هذا الكتاب المحتم الذي سيدون فيه نفس البروفسور محاضراته وينشره ليطرح في السوق العام كبضاعة...

وينتج المجرم، علاوة على ذلك، الشرطة برمتها، النظام القضائي، مسوؤلي الأمن، القضاة، الجلادين، المحلفين...ألخ وكل هذه الأنواع المختلفة من المهن، والتي تشكل بالتساوي فئات عديدة من تقسيم العمل الأجتماعي، تطور طاقات مختلفة من الروح الأنسانية وتخلق حاجات جديدة وطرقا جديدة لإشباعها. والتعذيب، لوحده، قدم دافعا لظهور أكثر المخترعات الميكانيكية براعة، واستخدم حرفيين شرفاء عديدين في إنتاج آلات التعذيب.

وينتج المجرم انطباعا أخلاقيا جزئيا ومأساويا جزئيا،كما تظهر هذه الحالة، وتقدم بهذه الطريقة بهذه الطريقةخدمة بإستشارة مشاعر الجمهور الأخلاقية والجمالية. ولم يقتصر ماركس على إنتاج الكتب عن قانون الجريمة فحسب، ليس فقط حول مجموعة قواعد الجزاء ومعها تشريعات المشرعين في هذا المجال، بل أنتج،أيضا، كتبا عن الفن، الأدب المحض،الروايات وحتى التراجيديات، ليس فقط عن عرضي سشولدلمولنروراوبر لشيلر بل، أيضا، في اوديب(سوفوكليس) وريتشارد الثالث (شكسبير) .[لوكان ماركس حيا، اليوم، لكتب مضيفا انه لولا وجود الجريمة لما وجد في الوقت الحاضر روائي الجريمة البريطاني جون غريشام ولا مسلسل المحقق البوليسي الانجليزي مورس ولا توني سوبرانو بطل مسلسل المافيا الامريكي المشهور ولا حتى الجاسوس البريطاني جيمس بوند.] فالمجرم يكسر رتابة الأمن اليومي للحياة البرجوازية. ويقي المجرم، بالتالي، هذه الحياة من حالة الركود ويكون باعثا على مستوى من التوتر القلق والحذر والذي من دونهما سيصاب حتى حافز المنافسة بالبلادة.

يمكن عرض تأثيرات المجرم على تطور قوة الإنتاج وبالتفصيل. هل كان بأمكان الأقفال ان تصل، أبدا، الى درجتها الحالية من الأتقان لو لم يكن هناك لصوص؟ هل بامكان عملية صنع الأوراق النقدية ان تصل الى مرتبتها الحالية من الكمال لو لم يوجد مـزورون؟... واذا تركنا عالم الجريمة الخاصة: هل بمستطاع السوق العالمي، أبدا، ان يظهر الى الوجود لولا وجود الجريمة على المستوى الوطني، وهل بأمكان حتى الأمم، في الواقع، ان تظهر؟ أليست شجرة الخطيئة هي نفسها شجرة المعرفة منذ أيام آدم؟

وكما قال أدموند ويلسون، هذا يمكن مقارنته بأقتراح جوناثان سويفت المتواضع لعلاج تعاسة آيرلندا عن طريق إقناع الفقراء الذين يتضورون جوعا بأكل اطفالهم الفائضين.

لكن حتى ويلسون ضاعت في النهاية عليه، على أية حال، حبكة الموضوع. فبعد بضع صفحات فقط من كيل المديح لبصيرة ماركس السايكولوجية الحاذقة ورفعه الى مصاف عباقرة الهجاء، يعلن احتجاجه على فجاجة الدافع السايكولوجي الذي يشكل الأساس لوجهة نظر ماركس عن العالم ويرفع شكواه بأن النظرية التي أقترحت في رأس المال هي ببساطة، مثل الديلكتيك، نظرية ابتدعها ميتافيزيقي لم يعلن أبدا تنازله عن العرش أمام الإقتصادي ماركس. ويبدو هذا التصريح مثل تلك المراجعات النقدية التي دبجها الألمان عند صدور المجلد الأول من راس المال، والذين أتهموا ماركس ب السفسطة الهيغلية – تهمة ما أسعد ماركس، وقتها، بأن يعلن بانه مذنب بها، معترفا بأنه قام باستلهام أسلوب هيغل في التعبير في مقاطع عديدة من رأس المال. أما أساليب الغزل الديالكتيكية مع هيغل والتي ضايقت مشاعر أدموند ويلسون فجميعها تتجانس مع التعابير الساخرة التي يكن لها ماركس اعجابا رفيعا جدا: كلا التكنيكين يمثلان واقعا واضحا لفضح أسرار ذنوبه. وكما علق الفيلسوف الأمريكي روبرت بول في محاضرة له عام ١٩٨٤ انه نوع غريب من الإطراء أن تطلق على كاتب أنه أعظم متهكم منذ جوناثان سويفت، وبعدئذ تحكم على أكثر جهوده الفكرية جدية بأنها ميتافيزيقيا غريبة الأطوار.

ما الذي، اذن، يربط بين خطاب ماركس الأدبي الساخر وروايته الميتافيزيقية عن المجتمع البرجوازي؟ أو، كما وضع وولف السؤال: لماذا توجب على ماركس الكتابة بالطريقة التي فعلها اذا كان عليه انجاز المهمات الفكرية التي وضعها لنفسه، لو كان يرغب بإنتاج نص مباشر من الإقتصاد الكلاسيكي كان بوسعه فعل ذلك – وهو فعل ذلك حقا. ألقى ماركس محاضرتين في شهر حزيران/يونيو عام ١٨٦٥ طبعتا لاحقا في كتاب تحت عنوان القيمة، السعر والربح ،وتقدم هاتان المحاضرتان خلاصة مختصرة ورائقة للنقاط الأساسية لنظريات ماركس التي تدور حول البضائع والعمل:رجل ينتج مادة من أجل استخدامه المباشر، لكي يستهلكها بنفسه، يخلق منتوجا لكنه ليس بضاعة... بضاعة ما لها قيمة لأنها تمثل الخلاصة المتبلورة عن العمل الأجتماعي ... أما السعر موصوفا بذاته فهو لاشيء غير التعبير النقدي للقيمة... وما يبيعه العامل ليس عمله بشكل مباشر، بل قوة عمله، بيع مؤقت يعرضه على الرأسمالي... وهكذا. ومهما تكن مزاياه كتحليل إقتصادي والذي يمكن لطفل ذكي يمكنه أن يفهمه: لا استعارات معقدة أو ميتافيزيقيا، لا أستطرادات ملغزة أو نزهات فلسفية ولا تبجحات أدبية. اذن، لماذا رأس المال الذي يمسح نفس الأرض مختلف تماما في الأسلوب؟ هل فقد ماركس، فجأة، موهبة الكلام الواضح؟ ونقول بجلاء تام: كلا. فالوقت الذي ألقى فيه ماركس هاتين المحاضرتين كان يكمل، أيضا، المجلد الأول من رأس المال. يمكن إيجاد مفتاح اللغز في واحدة من المتشابهات الجزئية القليلة ذاتها التي سمح ماركس لنفسه بإيرادها في كتاب القيمة، السعر والربح عندما كان يوضح اعتقاده بأن الأرباح تظهر من خلال بيع البضائع بسعرهاالحقيقي وليس كما قد يفترض أحد من إضافة ثمن إضافي. وكتب ماركس قائلا: يبدو هذا تناقضا وعلى الضد من الملاحظة اليومية. ومتناقض، أيضا، أن تدور الأرض حول الشمس، وأن الماء يتكون من غازين سريعي الأحتراق جدا. ان الحقيقة العلمية متناقضة على الدوام، اذا تم الحكم عليها استنادا على التجربة اليومية والتي تقبض،فقط، على الطبيعة المضللة للأشياء.

ان وظيفة المجاز تكمن في دفعنا للنظر الى شيء ما بشكل جديد بتحويل خواصه الى شيء ما آخر، تحويل المألوف الى شيء غريب والعكس بالعكس. واقترب لودوفيكو سيلفا الناقد المكسيكي لماركس الى المعنى الاتيمولوجي (دراسة اصل اللغات وتأريخها) لل استعارة على انها عملية انتقال للمحاججة بأن الرأسمالية ذاتها هي استعارة، صيرورة تغريب والتي تزيح الحياة من كونها فاعلاً الى كونها مفعولاً بها، من قيمة استعمال الى قيمة تبادل، من الأنساني الى الأشد بشاعة. وبهذه القراءة فان الأسلوب الأدبي الذي تبناه ماركس في رأس المال لم يكن مظهرا خادعا زاهي الألوان يجري تطبيقه على لوح كالح من نوع آخر للشرح الإقتصادي، انها اللغة الوحيدة المناسبة التي يجري عن طريقها التعبير عن الطبيعة المضللة للأشياء ، مشروع أنطولوجي (ذو علاقة بعلم الوجود) لايمكن تقييده في نطاق حدود وأعراف اي نوع بحثي قائم مثل الإقتصاد السياسي، علم الأنثروبولوجي أو التأريخ. أن مجلدات رأس المال ،بأختصار، هي عمل فريد برمته. ولا يوجد أي عمل يماثله في العبقرية، على أي مستوى،سواء في ما مضى أو منذ صدورها – ولربما هذا هو السبب في انه يجري، على الأغلب،اهمالها، أو يساء فهمها أو تفسيرها.

> يقترح ماركس بأن أي مهنة يمكن تصورها تستطيع ان تكون منتجة، وانطلق في اثبات ذلك بمثال مضحك بشكل واضح: ينتج الفيلسوف الأفكار، الشاعر القصائد، القس المواعظ، البروفسور الكتب وهكذا.

> يمكن عرض تأثيرات المجرم على تطور قوة الإنتاج وبالتفصيل. هل كان بأمكان الأقفال ان تصل، أبدا، الى درجتها الحالية من الأتقان لو لم يكن هناك لصوص؟ هل بامكان عملية صنع الأوراق النقدية ان تصل الى مرتبتها الحالية من الكمال لو لم يوجد مزورون؟..